

ثلاث رسائل من جنازة الأيام الأربعة لقاسم سليمان

عبدالجليل الشرنوبلي
كاتب مصري

القاهرة - تبدو مراسم تشييع القيادي الإيراني الفريق قاسم سليمان، قائد فيلق القدس وقد امتدت مراسيمها لأربعة أيام وجابت خلالها مدنًا رئيسية في العراق ثم إيران، أنها المشاهد التي تستدعي قراءة في ما بين لقطاتها المصورة، بهدف قراءة أليات استثمار الحدث من قِبَل تنظيم الدين السياسي الشيعي وأذرع الممتدة في أقطار العالم وحلفائه في الخارج، وتنظيم الإخوان على رأسها.

في أدبيات الإسلام السياسي تتجاوز جنازات الشخصيات القيادية حدود المراسم الرسمية والطقوس الدينية إلى اتفاق تحقق العديد من الأهداف، وتوصل الكثير من الرسائل، وهو ما يجعل هكذا جنازات فرصة استثمارية لإدارة التنظيمات الدينية لتعمل بكل طاقتها، بهدف إخراج المشهد العام للجنازة، بما يتناسب مع احتياجات المرحلة التي تمر بها.

هدف التوظيف

يُمكن رصد الأمر برمجة جنازات قيادات تاريخية لتنظيمات دين سياسي سنوية وشيعية، إضافة إلى أن مراسم تشييع القيادات الذين يلقون حتفهم في ظروف خاصة، على رأسها الاعتقال أو في السجون تأتي متجاوزة بكثير حالة استثمار مراسم الجنازة والدفن لنظيراتها التي تحدث في ظروف الموت الطبيعية.

بحسب ما تم فإن استثمار جنازة سليمان تقدر لها أن تمر بمحطات رئيسية في العراق، قبل أن تنتقل إلى إيران، حيث نظمت جنازة رسمية في بغداد صباح السبت بحضور قيادات الدولة العراقية، بتقديمها رئيس الوزراء المستقيل عادل عبدالمهدي إلى جوار قادة التنظيم في الحشد الشعبي، ومنها إلى الكاظمية، ثم جنازة شعبية انطلقت من بوابة المنطقة الخضراء نحو الجادرية، ومنها إلى المدن المقدسة لدى الشيعة، النجف وكربلاء.

من بعدها حُمِّل جثمان سليمان ورفاقه إلى إيران، حيث بدأت الأحد أولى محطات التشييع، لتنتقل من مدينة الأهواز ذات الغالبية العربية، ثم تتوجه عصرًا إلى مدينة مشهد ذات المكانة المقدسة شيعيًا.

وكان من المقرر أن تتوجه الجنازة إلى طهران مساء، غير أن الحشود غير المسبوقة، بحسب وكالة الأنباء الإيرانية، حالت دون ذلك، ما أدى إلى تغيير وجهة الجنازة في اليوم التالي إلى مدينة الحوزات الدينية الشيعية "قم"، لتقام المراسم بحرم ابنة الإمام جعفر الكاظم الإمام السابع لدى الشيعة الاثني عشرية. وتصل الجنازة إلى وجهتها الأخيرة الثلاثاء، إلى مدينة كرمان مسقط رأس سليمان، ومدفن الشهداء، وأوصى بأن يتم دفنه فيها.

مراسم تشييع سليمان ورفاقه التي استمرت أربعة أيام، وامتدت عبر العراق وإيران شاملة ثمان مدن، تتجاوزت جنازات قيادات الدولة الإيرانية، بما فيها الخميني ذاته، وشهدت حالة من التعبئة الإعلامية الإيرانية في الداخل والخارج،

نفي الأذرع الإيرانية

مدعومة بتغطيات إعلامية متواصلة، ناطقة باللغة العربية، أدارتها أوعية إعلامية تنظيمية ينطلق بثها عبر تركيا وقطر ولبنان.

وتم التركيز على دعوات الإمام علي خامنئي التي أطلقها للربيعية، مُختلطة بدموعه، فيما ترتفع في خلفية المشهد رايات النار، ويتسارع الآف المودعين لمسح النعوش بقطع متنوعة من الألبسة لنبال أصحابها بركة الشهداء التي تمنحهم دافع السير نحو درب الجهاد. ورغم أن الهتاف الجامع للجماهير المشيعة، كان "الموت لاميركا"، إلا أن حالة استثمار جنازة سليمان في قلب تنظيم الدين الشيعي تتجاوز في رسائلها التهديد الأميركي، لتتعدى ذلك إلى أطر تنظيمية وإقليمية، تُشير إلى أن معركة النار لسليمان ورفاقه موجهة صوب أهداف مغايرة لجرد استهداف أميركا، ويُمكن تحديد رسائل ثلاث لجنازة الأيام الأربعة.

أولاً: رسائل الإصطاف الشيعي، جاء مقتل سليمان في ظرف استثنائي يُهدد التمكين الشيعي من العراق، مع تصاعد هبة العراقيين (سنة وشيعية)، في وجه الحكم التنظيمي لدولتهم الذي أقداه استقلالها الوطني، وأثر على مجريات حياة المواطنين، وحول دولتهم إلى تابع للدولة الإيرانية التي باتت متورطة في مذابح فوار العراق.

رسائل تنظيمية تشير إلى أن أهداف النار تتجاوز القاتل إلى ضرب حلفاء له في الجوار

واقترن اسم سليمان بعمليات تصفية الثوار، الأمر الذي بات مُهددًا لتوحد شيعة العراق خلف مرجعياتهم التي تتلقى تكليفاتها من المرجعيات الإيرانية، وهو ما جعل حاد استهدافه فرصة مواتية لاستغلال العاطفة الشيعية ليلتزم الصف العراقي داخليًا في مواجهة أميركا باعتبارها وفقًا لتوصيف المرجعيات "الشيطان الأكبر"، ما يفرض نتيجة الخلافات السياسية والإصطاف للنار.

لكن حالة النفي الشيعي المصاحبة للجنازة وخطابها الذي تبثه أوعيتها في سوريا ولبنان (حزب الله) واليمن (الحوثيون)، يُشير إلى أن حالة الاستثمار تتجاوز الحدود العراقية الإيرانية، لتشمل قطاعات جغرافية مشتتة، ولتعمل على تعبئة قواعدها في هذه الأقطار نحو التوحد مع قياداتها التنظيمية، ما يُشير إلى أن خطاب النار بات تكليفًا مُعمًا على جند التنظيم الشيعي في سائر أقطار الحضور، وممتداً ليتجاوز هذه الأقطار إلى كل شيعي غادرها إلى مهجر في أي بقعة من بقاع العالم.

ثانياً: رسائل اصطفاف حلف المقاومة، بغض النظر عن موقف التنظيم الإخواني الرسمي الذي يرتبط في علاقته بالدولة الإيرانية بعلاقات دولية تتجاوز التنظيمات المحلية وقواعدها التي تكفر الدولة الإيرانية، إلا أن قنوات التنظيم الرسمية التي تبث من تركيا وقطر ولندن استطاعت أن تجاري خطاب التنظيم

الدولي بما لا يصدم القواعد في عقيدتها، ويُجاري خطاب المقاومة للمشروع "الصهيواميركي".

استنفاذ الأذرع

لهذا كان لا بد أن تتصدر مشهد التنظيم في الجنازة حركة حماس، كجناح عسكري إخواني من جهة، ومرتبطة بعلاقات علنية وسرية مع نظيراتها من أجنحة عسكرية شيعية، سواء عبر فيلق القدس أو حزب الله، وبدأ مرسوم الحضور الإخواني في غزوة واضحة من خلال سراقع عزاء أقيم السبت في ساحة حديقة النصب التذكاري للجندي المجهول، غير أن أجهزتها الأمنية لم تمنع قواعدها من توزيع الحلوى ابتهاجاً باغتيال سليمان الذي تراه قواعد الداخل التنظيمي تسبب في قتل ملايين المسلمين.

ثالثاً: رسائل استهداف المحيط الإقليمي، توحى الحالة الإعلامية المستثمرة لمقتل سليمان إلى أن حالة الاستنفاذ المُوجهة علناً صوب أميركا، تعددها إلى استنفاذ نحو استهداف حضور الحلف الإيراني في محيطه الإقليمي، وهو ما يعني أن الاحتشاد الجماهيري الشيعي والمباركة التنظيمية الإخوانية حضوراً وتوسيقاً، باتا مُوجهين نحو دعم الحلف المكون من إيران وتركيا وقطر والإخوان، في مواجهة خصومه الإقليميين باعتبارهم حلفاء للشيطان الأكبر.

ويُسوق التنظيم الإخواني بين قواعد الداخل المصري والخارج، ما أسماه "رسائل تحذيرية" وصلت من المخابرات الأميركية بشأن عزم إيران استهداف بعض الدول العربية القريبة بهجمات فتاكة، وتؤكد رسائل تنظيم الإخوان أن مصاربه في هذه الأوقات أنها في حيرة من أمرها، لأن واشنطن قد تسمح ل طهران بتنفيذ ضربات تنفيساً عن غضبها وخفصاً للتصعيد، وكى تبقى متمثل في مامن وبعيدة عن الخطر. تمثل هذه الرسائل التنظيمية مؤشراً لأهداف النار الإيراني التي تتجاوز مجرد النار من القاتل إلى ضرب حلفاء له في الجوار، باعتبار أن حليف عدوي عدو، ما قد يفرضي إلى أن يكون الحلف العربي في مواجهة قطر على رأس قائمة الاستهداف، لأن قواعد التنظيم الشيعي في منطقة الخليج تمثل ظهيراً قادراً على الفعل والحركة.

يشهد التاريخ الشيعي حالة استثمار وفاة القيادي "محمد مرسى" في محبسه بالقاهرة، وما تلاه من جنازات رمزية في قطر وتركيا وعدة عواصم إسلامية وأوروبية.

لم يكن الدعاء للميت هو المستهدف، قدر إنبات الحضور على خارطة الوجود، وشحن القواعد نحو نار من خصوم التنظيم، حتى وإن لم يكونوا سبياً في الموت، لكن جلال الحالة يؤهل القواعد لنفي الجهاد نحو الخصوم الذين يُجدهم التنظيم الديني شيعياً كان أم سنياً، وعادة ما يكون الخصم الأقرب أسهل، بالتالي يتحد أبناء نفس المشروع إيرانيا وتركيا وقطريا وإخوانيا، كونهم إخوة في الدين، وشعارهم (أنا وأخويا وابن عمي على القريب)، لأن البعيد، أميركا، خصم يُصعب النار منه، كما أن الرد سيكون قاسياً، بما يصعب تحمله.



أردوغان من محاولة إلى أخرى

غزو ثقافي تركي مغلف بالعسل

جامعة ابن خلدون تبيض للحقبة العثمانية

أم إحياء لعلوم الدين؟

الإسلامية، تسعى إلى إحياء الحضارة الإسلامية المفتحة بروح تجديدية مؤصلة، عبر أبحاث بمجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، تعود إلى الأطفال والشباب فتعهم بهويتهم الحضارية. هكذا وصف، رجب شننور، جامعة "ابن خلدون"، التي يترأسها، وتتضمن الجامعة كليات متخصصة في الحقوق والعلوم الإنسانية والاجتماعية والتاريخ والفلسفة والعلاقات الدولية وإدارة الأعمال والتربية.

واستطاعت أن تستقطب طلاباً من أكثر من 70 دولة، مسجلة بذلك أعلى نسبة طلاب أجانب في تركيا. وتشترط الجامعة أن يجيد الطلاب، بغض النظر عن القسم والتخصص، اللغة التركية والعربية والإنجليزية، على الأقل. فالإنجليزية، حسب شننور، هي مفتاح للحضارة الغربية، والعربية مفتاح للحضارة الإسلامية، أما التركية فهي مفتاح المستقبل، ومن يجمع هذه المفاتيح يكون له أساس قوي في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

أما عن السبب في اختيار "ابن خلدون" ليكون اسماً تحمله الجامعة، وهو لقب لعالم الاجتماع الشهير عبدالرحمان بن محمد بن خلدون فيغزوه شننور إلى رغبتهم في التأكيد على أن الجامعة ليست تركية بل عالمية.

"هدفتنا" كما يؤكد "تعليم الطلاب في فترة العولمة، والاهتمام بتكوين الشخصية، والقوة، وهي أخلاق الشباب، وقديما الثقافة العثمانية والثقافات العربية والإيرانية والباسكتانية، كانت هناك كتب تتعلق بالقوة وتكوين الشخصية، فهي مهمة؛ فالعلم وحده لا يكفي للنجاح، يجب أن يكون لدى الطلاب خلق وكفاءة للعالم؛ فالسوق العالمية منفتحة".

وتخطط الجامعة لنشر سلسلة كتب كلاسيكية، في التفكير السياسي والأخلاقي الإسلامي، وهاك كتاب، جُهِزَ نحو 50 كتاباً منها.. وهناك مراكز بحوث وأساتذة لديهم ميزانية للبحث، أي لكل مدرس ميزانية مستقلة إلى جانب راتبه، لإجراء البحوث فقط.

ويأخذ كاد شننور في الجامعة تسعى "إعادة إسطنبول مركزاً للثقافة الإسلامية، ليكون سهلاً لقدم العلماء مع وجود اللغات الأخرى، إسطنبول لعبت دوراً كبيراً سابقاً، ونريد إحياءها، نرى أن هناك شكاً بالحضارة الإسلامية، ونسعى إلى إعطاء الهوية الإسلامية للشباب والأطفال، ليفخروا بأنهم أبناء هذه الحضارة". الأطفال والشباب، حسب شننور، لديهم تشويش، لا يعرفون ولا يفكرون بالحضارة الإسلامية، ولا يوجد لديهم تصور لهيئة الأمة الإسلامية.

ورغم أن نسبة القبول لا تتجاوز 2 في المئة من طلبات الانتساب، يبلغ عدد الطلاب المسجلين حالياً في الجامعة 1500 طالب، وتهدف إلى رفع العدد ليصل إلى خمسة آلاف طالب في المستقبل القريب، يحصل أغلبهم على منح مالية. الجامعة ليست مجرد مشروع طموح لغزو ثقافي مغلف بالعسل، إنها حصان طروادة يبنه أردوغان بصبر لتبويض الحقبة العثمانية وبعثها من جديد.

إلى جانب الدراما سعت أنقرة لتوظيف جماعات الإسلام السياسي بمختلف توجهاتها، وعلى رأسها الإخوان المسلمون، الذين يعتبرون أداة طيعة في يد أنقرة، ووصفهم مستشار أردوغان للشؤون الخارجية، ياسين أقطاي، أنهم مرجعون لتركيا ومشروعها في العالم العربي، وهم إن وصلوا إلى الحكم سيعملون بإخلاص على خدمة الأجنحة التركية في المنطقة.

استفادت أنقرة من الاضطرابات التي رافقت ما سمي بالربيع العربي، وأقول حقبة الدراما السورية، وبعد عقد من السيطرة، جاء الرد من خلال مسلسل ممالك النار.

نجح المسلسل الذي شارك في بطولته فنانون من دول عربية عدة، وأخرجه البريطاني بيتر ويبر، من إثارة جدل كبير، وحرص المشاهدين على إعادة النظر في الفترة التي حكم فيها العثمانيون دول المنطقة منذ نحو خمسة قرون.

فشل الخلافة العثمانية في ترك أثر بارز في الثقافة العربية لم يمنح أردوغان من إعادة المحاولة

يحكي المسلسل قصة آخر سلاطين الممالك، الأشراف طومان باي، الذي هزم أمام جيش السلطان العثماني سليم الأول في معركة الريدانية، كانت هناك بعدما تعرض لخبايا على أيدي امرأته. "فتح إسلامي، أم غزو عثماني؟" هذا هو السؤال الذي سيطر على وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي في مصر، وأضحى مادة لل نقاش في برامج التوكشو، وكان هناك من اعتبر فكرة "فتح" العثمانيين لمصر "تهمة" يجب محاكمة من يعتقد بها أو يساهم في نشرها.

الصحافي في "اليوم السابع" بندراوي الهوارلي، نشر مقالاً، تحت عنوان "وجود محاكمة من يعتبر الغزو العثماني لمصر فتحاً إسلامياً.. والمشايخ يشوهون التاريخ". واستنكر محمد الباز، رئيس تحرير صحيفة "الدستور"، بثت "إذاعة القرآن الكريم" محاضرة لأزهري بعنوان "إنهم يشوهون تاريخ الفاتحين الأوائل"، تمت فيها مهاجمة مسلسل "ممالك النار"، وانتقاد الفنان خالد النبوي.

مقابل ذلك انتاب الغضب مشايخ في مؤسسة الأزهر، ورأوا في المسلسل تشويهاً لما يعتبرونه فتحاً عثمانياً لمصر، حيث فوجئ الجميع بإذاعة القرآن الكريم تستنصيف أزهرياً، هاجم المسلسل بعنف، واتبرى مدافعا عن سليم الأول، واعتبره فاتحاً عظيماً تفوق فتوحاته كل فتوحات خالد بن الوليد.

لم ينتظر أردوغان، الحالم ببعث الخلافة العثمانية، أن تغلق في وجهه الأبواب، وما أراد إنجازها عبر بوابة الدراما، يريد أن يتابعه عبر غزو ثقافي ناعم من نوع آخر. وقبل أن يخرج من باب الفن، خطط للعودة من نافذة التعليم. جامعة مقرها إسطنبول، متخصصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

تونس - لم تستطع فترة الخلافة العثمانية على مدى 400 عام أن تترك أثراً بارزاً على الثقافة العربية، باستثناء تأثيرات انحصرت في قائمة الطعام وانتشار الشيشة، والطربوش الذي سرعان ما اختفى بانهايار الخلافة.

هذا الفشل لم يمنح أردوغان من إعادة المحاولة، هذه المرة عبر صيف جديد فتحت له الدول العربية أبوابها مرحة ومحتفلة به، بالطبع نقدت به المسلسلات التركية التي غزت الفضائيات العربية.

غزو ناعم بدأ للجمع بريثا أو في أسوأ الحالات المقصود منه الترويج السياحي لتركيا. القوة الناعمة، أو القدرة على الإغراء والاحتواء دون حاجة إلى استخدام الإكراه أو القوة وسيلة لإقناع، مفهوم استخدم للمرة الأولى من قبل جوزيف ناي، من جامعة هارفارد الأميركية، حيث أكد على أهمية الثقافة والإعلام وسيلتين ناعمتين للسيطرة حلتا مكان القوة العسكرية والحروب، وأحياناً حتى الاقتصاد.

ولعبت الإنترنت، خاصة مع بروز مواقع التواصل الاجتماعي، دوراً هاماً في تأكيد مفهوم القوة الناعمة بوصفها أداة للسيطرة على الدول.

استثمرت أنقرة الحادثة الشهيرة في ملتقى دافوس الاقتصادي، 29 يناير عام 2009، والتي شهدت سجلاً بين أردوغان، وكان وقتها رئيساً للوزراء، والرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز، بحضور الأمين العام للأمم المتحدة، بان كي مون، وأمين عام جامعة الدول العربية عمرو موسى.

في تلك الجلسة، تصدى أردوغان لبيريز ومدير الجلسة الأميركي، الذي أتاح الفرصة أمام الرئيس الإسرائيلي للحديث، وحاول باستمرار إسكات أردوغان.

ورغم أن العلاقات بين تركيا وإسرائيل لم تتأثر بسبب تلك الحادثة، إلا أنها فتحت الباب لنقارب عربي تركي، سهل لتركيا فرض رؤيتها على الدول العربية. وكان إنتاج مسلسل، وادي الذئاب، الذي تسبب بأمزجة دبلوماسية بين تركيا وتل أبيب، أدت إلى سحب السفراء رغم أن العلاقات بين البلدين بقيت قوية طوال الوقت.

المسلسل الذي سبق عرضه في تركيا على، تمت دبلجته إلى اللغة العربية، باللهجة السورية، عام 2008، وتم عرضه على قنوات عربية مختلفة. عالج المسلسل قضايا سياسية واقتصادية، منها الولاية العميقة التي تحكم تركيا، وتطرق إلى الأزمة السورية والعراقية، كما تطرق إلى القوى العليا التي تقود العالم وتحاول السيطرة على تركيا لتدير العالم من خلالها.

تسبقت الفضائيات العربية على عرض المسلسلات التركية، وكان مسلسل سنوات الضياع، أو تحت أشجار الزيفون، ولحق به مسلسل فاطمة والحب الأسود، تأثر نمط حياة المتابع العربي للمسلسلات التركية، بما في ذلك الوجبات التي يتناولها في المطاعم، بالإضافة إلى شراء منتجات تركية مختلفة، بما فيها الملابس والسجاجيد والشموع المعطرة.

